مجلة المواقف للبحوث والدراسات في المجتمع والتاريخ **ISSN:** 1112- 7872
E-ISSN: 2600-6162
مجلد: 19 عدد: 01 جوان 2023
العنوان: قراءة للواقع الاجتماعي والعمراني للقرى... ص.ص 418- 432.

قراءة للواقع الاجتماعي والعمراني للقرى التقليدية بمنطقة البيبان – دراسة حالة-

عبد الحميد بودرواز[1]، سمير العيداني[2]، عبد الكريم عزوق[3]،
1- جامعة المسيلة (الجزائر)
bjaouinaser@yahoo.fr
2- جامعة المسيلة (الجزائر)
Samir.elaidani@univ-msila.dz
3- معهد الآثار/ جامعة الجزائر-2-
abdelkrim.azzoug@univ-alger2.dz
تاريخ الإرسال: 2022/08/14؛ تاريخ القبول: 2023/05/03

Abstract: The study of the traditional rural areas of the Biban region (Bordj Bou Arreridj) is of great importance through which the archaeological components of these villages are shown through the general plans as well as through the effective role they played in maintaining the social structure of the population, which was organized and managed by a simple and effective administrative council known as the village council, in addition to a set of standards and controls; among the most important of these villages in the Ottoman era in Algeria are: Rabia, Qasour, Bouchiba, Qalea Bzmora, through which we will know the structural and schematic components of the village world in this geographical area. These architectural units also contribute to the creation of a kind of harmonious and controlled distribution in the public sphere formed by villages between what is private property and what is collective public utility,

such as the mosque, the village council, simple and complex housing units, as well as streets and alleys. In addition to the market at times, the press, the lesson space, the cemetery, Al Ain and other public facilities.

Keywords: The village ; Al-Biban area ; the rural construction ; the units ; the public facilities.

الملخص:

تكتسي دراسة المجالات التقليدية القروية بمنطقة البيبان (برج بوعريريج) أهمية كبيرة تظهر من خلالها المكنونات الأثرية لهذه القرى من خلال المخططات العامة وكذا من خلال ما أدته من دور فعال في الحفاظ على التركيبة الاجتماعية للساكنة ساهم في تنظيمها وتسييرها مجلس إداري بسيط وفعال عرف بمجلس القرية، إضافة إلى مجموعة من المعايير والضوابط؛ ومن بين أهم هذه القرى في العهد العثماني بالجزائر قرى: ربيعة، القصور، بوشيبة، القليعة بزمورة، ومن خلالها سنعرف المكونات البنيوية التخطيطية المشكلة لعالم القرى في هذا النطاق الجغرافي. كما تساهم هذه الوحدات المعمارية في خلق نوع من التوزيع المنسجم والمضبوط في المجال العام المشكل للقرى بين ما هو خاص الملكية وبين ما هو جماعي عمومي المنفعة، كالمسجد ومجلس القرية والوحدات السكنية البسيطة والمركبة وكذا الشوارع والأزقة. إضافة إلى السوق في بعض الأحيان والمعصرة وفضاء الدرس والمقبرة والعين وغيرها من المرافق العمومية.

الكلمات المفتاحية:

القرية؛ منطقة البيبان؛ العمران القروي؛ الوحدات؛ المرافق العمومية.

مقدمة:

تعدّ منطقة برج بوعريريج من إقليم البيبان من النطاقات الجغرافية الثريّة بالقرى التقليدية والأثرية العذراء، التي لم تنل حقها الوافر من الدراسات الأثرية، وهو ما يفتح الباب واسعا للاهتمام بهكذا مجلات، إبرازا لقيمتها العمرانية والمعمارية والاجتماعية وكيف

ساهمت في الحفاظ على التركيبة الاجتماعية للمجتمعات القروية والرّيفية، التي مثّلت غالب سكان الجزائر في العهد العثماني وقبيل الاستعمار الفرنسي عام 1830م.

يقودنا الاهتمام بالدراسات الأثرية في الفضاءات التقليدية القروية إلا تسليط الضوء على مجموعة معينة من المكونات الأساسية للتركيبة المعمارية والعمرانية المهيكلة للقرة في سياقات خططية منتظمة ومبعثرة في بعض الأحايين تفرضها الطبيعة التضاريسية المستقبلة لفضاء القرية، وهو ما يقودنا لاستشكال قائم على ما يلي:

- ما هي مقومات التركيبة العمرانية والمعمارية للفضاءات القروية بمنطقة البيبان وما هي الضوابط الاجتماعية والتضاريسية المتحكمة فيها؟

سنحاول في هذا العمل معرفة مدى توافق القرى المعنية بالدراسة ومقارنتها بمثيلاتها في نفس المجال الجغرافي (قلعة بني عباس ببجاية) من خلال المعايير المتحكمة في التركيبة العامة للقرى وكذا ما يميّز الواحدة منها عن الأخرى رغم إمكانية التشارك في المظهر العام لها بكونها تقع في مجالات جبلية تفرض فيها الطبيعة التضاريسية خصوصيتها وطبيعتها في لآليات توزيع المرافق والوحدات.

- الأرياف والقرى في البيئة التقليدية:

جابه الإنسان منذ القديم حتميات الطبيعة وسايرها سعيا منه إلى إثبات وجوده في معترك الحياة على المعمورة بوسائل وأعمال عديدة، تبيّن مدى تجاوبه وتفاعله مع الوسط الطبيعي الذي يعيش فيه. وكان من بين الوسائل التي سعى لتوفيرها فضاءات تحميه من أخطار الطبيعة. فكانت في بادئ الأمر طبيعية المنشأ والشكل، لتأخذ فيما بعد بعض اللّمسات الصناعية. وبزيادة حجم التجمعات في هذه الكهوف الطبيعية (الفضاءات)، والصناعية، حاول الإنسان كذلك إيجاد بدائل تضمن الأمن لهذه المجموعات البشرية، وكذا الغذاء، الذي يعدّ محورا

فاصلا في تغيير نمط الحياة البدائية من حياة القنص والصيد لحياة الزراعة والاستقرار، في تجمعات زراعية قرب الوديان والأنهار.
وبمرور الزمن وزيادة هذه التجمعات في كل أقطار الأرض، وبعد اكتشاف النار والمعدن وزيادة حياة الإنسان استقرارا، ورفاهية، أصبح يعدّل أكثر فأكثر في فضاءات عيشه، لتصبح بما هو معروف لدينا بالأرياف والمدن. حيث يتّسم الرّيف بكونه الفضاء الجغرافي الذي احتضن القرى بمختلف أشكالها وأنماطها.

_ الرّيف وأبعاده:

لقد ورد تعريف للرّيف نقلا عن كوفاليف بقوله:" الرّيف هو تلك المساحة المسكونة والخارجة عن نطاق المدينة، والتي تتشكل في تكامل الظروف والمصادر الطبيعية، والسكان، ومجموعة التقاليد، والعادات المتوارثة عبر الأجيال، أو ما يعرف بالتّراث الاجتماعي" (قماش, فيصل 2014/2013، ص21)

كما يعرفه محمد حجازي في قوله:" الرّيف هو الأقاليم التي وظّفت وتفرّغ سكانها في وظائف إنتاج الغذاء الأوليّة البسيطة" (حجازي, محمد 1982، ص175) . حيث يمارس السكان في الرّيف نمطا خاصا من الحياة، قائما على وحدة النشاط، والمسكن والعلاقات الموجودة بين أفراده.
وهو يتّصل بالبيئة ومكان الإقامة، والاشتغال بالزراعة. كما يتعلّق بالسلوك والاتجاهات، وهو بهذا يشمل الأرض والسكان ونشاطهم البشري والعمران.
والرأي أن الرّيف اصطلاح حضاري شامل، بكونه نمط حياة يشمل الأرض والسكان، ونشاطهم والعلاقات القائمة بين السكان وعناصر البيئة الرّيفية. وجغرافية الرّيف" Rural" هي المقابل الحقيقي لجغرافية الحضر"Urbain"، وهما معا يشكلان جغرافية حضارية اجتماعية، فالحضرية منها نمط حياة يشمل السكان ونشاطهم، ومسكنهم، وعلاقاتهم الاجتماعية، ولكن الرّيفية تختلف عنها في اتساع ذلك النطاق الحيوي، إذ يتكامل نشاط السكان ونمط حياتهم فوق مساحة أكبر من الأرض، أوسع من مجرد منطقة للسّكن، فإذا كان

الحضر يشكّل تركيزا حضاريا فالرّيف يعدّ انتشارا حضاريا (فؤاد الزوكة محمد خميس - حامد نوال: 1991، ص22)
ولئن كان مفهوم أهل البادية مقرونا بالرّيف أي المشتغلين بالزراعة في القرى والمجاشر، والضاعنين والمنتجين، فإنه يبدو مقترنا في بعض التعريفات بالحضر أكثر من غيره. ومن ذلك ما كتبه محمد بن سحنون في النّصف الأول من القرن 3ه/9م في قوله: " كلّ من على ظهر رَحل وينتجع ، فهو بدوي، وكل قاطن مقيم مستقّر فهو حضري، سواء كان في قرية أو مدينة أو مجشر" (ابن سحنون القيرواني(محمد) 2011، ص 18). ويشير ابن خلدون في هذا الباب إلى أن العمران نوعان:" بدوي في الضواحي وفي الجبال وفي الحلل المنتجة في القفار وأطراف الرمال"، وحضري :" بالأمصار والمدن والقرى والمدر للاعتصام بها والتحصّن بجدرانها". (ابن خلدون، عبد الرحمن 1984، ص 67).
تتّصف المجتمعات الرّيفية أنها مجتمعات أكثر تجانسا من المجتمعات الحضرية من حيث السلالة، والخواص النفسية، والاجتماعية، ومن حيث كذلك الثقافة المشتركة، التي تتمثل في القيّم، والتقاليد، والعادات، والمعتقدات، والعرف، أساليب وأنماط الحياة السائدة في المجتمع. حيث يقيم سكان هذا المجتمع الرّيفي في وحدات يطلق عليها اسم القرى (علي حسن(حسن) 1982، ص34)
تتّصف المجتمعات الرّيفية أنها مجتمعات أكثر تجانسا من المجتمعات الحضرية من حيث السلالة، والخواص النفسية، والاجتماعية، ومن حيث كذلك الثقافة المشتركة، التي تتمثل في القيّم، والتقاليد، والعادات، والمعتقدات، والعرف، أساليب وأنماط الحياة السائدة في المجتمع. حيث يقيم سكان هذا المجتمع الرّيفي في وحدات يطلق عليها اسم القرى، وتمثل هذه الأخيرة النواة السكنية في المجال الرّيفي، وهي متميزة بأهميتها الديمغرافية ووظائفها الاجتماعية، الاقتصادية، وتشكّلها المورفولوجي، ومعالمها. وكذا بعلاقاتها المزدوجة مع المركز الحضري والمحيط البدوي. (حسن، محمد 2004، ص 18) وهي بهذا تلك الوحدة السّياسية والاجتماعية، التي يسمح به اجتماعها؛ حيث يمكن أن تتصل قريتان جغرافيا. كما يمكننا أن نعرف من خلالها

وحدة كتلة القرى اجتماعيا أو تفريقها، بما يثبّط أو يزيد في التطور العمراني، والسكني لها، من خلال الزيادة في عدد ساكنيها (Mahé(A) 2000, p 78).رية، وهو ما يقودن

_ القرية وأبعادها:

ارتبط مفهوم القرية تحديدا بطبيعة شبكة التوطين وهيكلتها، إذ كثيرا ما ذكرت القرى في علاقتها مع مركز حضري قادر على بسط نفوذه على الإقليم كاملا، ولقد ذكر كل من البكري، والإدريسي، وغيرهم مصطلح القرية على اعتبار ارتباطه بعدد السكان بكونها: قرية آهلة، قرية كبيرة، قرية تشابه المدينة، وغير ذلك من الألقاب (البكري أبو عبيد الله - الإدريسي الشريف: 1962 - 1970، ص 46-75 / ص 153-163) ، كما ورد ذكرها عند التيجاني كذلك، في القرن الثامن الهجري/الثالث عشر الميلادي بـ: قرية صغيرة أو حقيرة أو قرية بلا معنى (التيجاني، عبد الله محمد بن أحمد: 1981 ، ص 122). كما تمّ ذكر تعدد القرى في القرنين الثالث عشر والرابع عشر الميلاديين أيضا، والمكونة من بعض العشرات من المساكن، التي كانت بالقرى المجاورة لمدينة تونس والتي ضمّت ما بين أربعين وستين أسرة، وبالتالي فإن الغالب على القرى أنها لا تتجاوز 500 نفرا (حسن محمد: 1999، ص 59)، على عكس ما نراه في قرى قلعة بني عباس بمنطقة البيبان في القرن السادس عشر الميلادي على عهد العثمانيين والذي تجاوز هذا العدد، وبلغ 3000 نسمة . (Carette (E); s.d.p35)

ضُبِطَ مفهوم القرية بكونها تحدد بالمعنى المقابل للمدينة، على أنها مركز توطين ريفي يفتقر إلى مؤسسات إدارية وإلى سلطة سياسية هامة غالبا وقد توجد في السهول والجبال على حدّ سواء، كما نراه في المناطق الجبلية للضفة الجنوبية من حوض البحر الأبيض المتوسط، في كل من لبنان، الجزائر، والمغرب الأقصى. وهي في حقيقة الأمر الوحدة الأساسية الثالثة لتركيب المجتمع الرّيفي بعد الفرد والعائلة. فهي ذات هوّية خاصة تنتظم فيها العلاقات المجتمعية في موقع تنشأ فيه، وفي زمن تتكيف مع أحواله. تتفاعل مع محيطها الجغرافي، مفرزة نظاما تضامنيا رئيسيا يتفرّع إلى شبكات ثانوية : قُربوية،

جِواريه اقتصادية، سياسية، اجتماعية (توما توفيق: 1981، ص 99)، إلا أنه يجب التنويه إلى قيمة القرية في منطقة جبال البيبان وبرج بوعريريج بكونها خليّة متكاملة التنظيم المساحي بعناصرها المختلفة والمتباينة من حيث بنيتها وظيفيا، وإنتاجيا، والمتكاملة في نفس الوقت، باعتبارها الوحدة السياسية والإدارية المسيّرة من طرف هيئة لها استقلالها في اختيار رؤسائها (مجلس القرية/ ثاجماعث)، وفق تشريع خاضع للتغيير بحسب المتطلّبات والمستجدّات في قوانينها، وعندما تكون قويّة يمتد نفوذها إلى جيرانها من القرى، ويمكننا أن نلاحظ في غالب الحالات بالنسبة لقرى المغرب الإسلامي أن سكناتها المحصورة المساحة موزعة بطريقة الأحياء كما كان على عهد النبي صلى الله عليه وسلم، في توزيع القبائل على أحياء المدينة المنورة (عثمان محمد عبد الستار: 1999، ص 55...58) وتكون كل قبيلة مهتمة بمجموعة أحياء طولية خاصة بها، والتي تميّز قرى المنطقة مثل قرى الزواوة كخاصية في توزيع السكن. حيث تكون كل مجموعة مسئولة عن تنظيم حيّها السكني (Mahé (A) ;2000 p78,) ، وهذا ما نشهده في قرى منطقة البرج التابعة إقليميا لقلعة بني عباس رغم بعض الاختلاف في طريقة التنظيم والاصطلاح. وكما عرف الرّيف أو القرية كذلك عددا من الوظائف المدنية والعسكرية المرتبطة بالمؤسسات الرسمية الكبرى في مراكز المدن أو العواصم، رغم أنها لم تكن في مستوى المؤسسات المركزية لكنها كانت تلبي جانبا مهما من مطالب سكان القرى والأرياف، وبهذا فإن الوحدة الاجتماعية لمجتمع الريف المتّصل بالمدينة أو المنفصل عنها بوصل النظر مع كون بعض القرى واقعة في السهول أو الغور أو في الجبال. كما هو الحال في بلاد قبائل زواوة بالجزائر؛ يتّسم بعضها بكثرة حقولها المختلفة الإنتاج، والبعض الآخر متاخم للمدن (ناجية إبراهيم عبد الله: 1988، ص 134) . يتأثّر المظهر العمراني للقرى بعدد من العوامل بعضها جغرافي مثل الموقع، وبعضها تاريخي مثل الحاجة المبكرة للدفاع، ومنها ما هو اقتصادي مثل نظم الزراعة. ويندرج هذا كله وفق طبيعة نمو القرى العشوائي، أو المخطط له منذ البداية، لتتباين أشكال القرى عمرانيا باختلاف حجمها من بلد إلى بلد، ومن

فضاء إلى آخر. بما يرتبط ونسبة الكثافة السكانية. ودرجة استغلال الأراضي المحيطة بالقرية.

إنّ المظهر التقليدي في الاستقرار يعتمد أساسا على اندماج الوحدات السكنية حول نواة القرية، وفق مساحة صغيرة من الأرض، تصّم جميع المساكن وبشكل متلاصق أو متقارب إلى حد كبير. ويقوم هذا المظهر العمراني الرّيفي على شروط توجِده كمظهر مادي في موضع معين، قائمة على : الماء كمادة حيوية أساسية لأي تعمير بشري، فالقرب منه عامل أساسي وتقليدي في توزيع الوحدات السكنية على اختلاف درجاته، وثانيها وثالثها المحتطب وأراضي الرعي، ليكون لمواد البناء الدور في تجسيد هيكل القرية (المطري خالد: 1999 ، ص68). ويمكن أن تتفاوت أسبقية هذه الشروط بحسب الموقع المختار للاستقرار والبناء. كما يتمم هذه الشروط مجموعة من الخصائص لها دور هام في استقرار القرى وبنيتها المورفولوجية، تمايزت بين الطبيعية، والطبوغرافية كـ: المناخ، المساحة، التربة، الارتفاع، الانحدار، والصلاحية الصحية؛ فمساحة الموضع الذي تشغله القرية له أثر كبير في قدرتها الإنتاجية، وهو ما يؤثر سلبا على شكل امتداد القرية عمرانيا، وكذا في توزيع وحداتها المتلاصقة، ذات الطابق أو الطابقين عادة، والتي تتخللها الأزقة، والطرقات الملتوية. إضافة إلى الحواجز الطبيعية كالجرُوف الجبلية أو التلال، التي تمنع الامتداد المساحي، وتفرض الالتصاق على الدور والضيق على الشوارع والأزقة. والحقيقة في ضيق الشوارع، وتعرّجها بالقرية كانت له ظروف ومتطلبات أخرى، فرضها الاقتصاد في المكان، وطلب الظّل في ساعات النهار صيفا، وكسر التيارات البحرية الباردة شتاء، لتكون القرية بذلك الشكل. وهذا بما يسمح أيضا لدابّتين محملتين أن تمُرَا بمحاذاة بعضهما بكل سلاسة دون اصطدامهما، مع شطف لأركان المساكن من الخارج لإعطاء المدّ البصري مجاله عند الدوران (الصورة رقم :01)، وهي توصل المرء إلى حيث يريد من بيت، أو مسجد، أو ساحات عامة، أو مؤسسات تنظيمية، أو أنها تقوده إلى خارج القرية (عراف شكري، 1996، ص6) . إضافة إلى العامل الأمني الذي يوفره هذا النوع من التشكيل العمراني.

وبهذا فإن للحيّز الجغرافي أولوية مطلقة في تحديد القرية ومعالمها، إذ تقيم فيه بيوتها، وتأخذ منه المواد الضرورية للبناء والحياة. وتختلف حدود القرية تبعا لطبيعة الملكية، والمساحة المزروعة، والمرافق العامة والبناء السكني، وكل هذه المعالم تحددها مجموعة من الظروف، والتقاليد، والأعراف، وتاريخ القرية، وغالبا ما تكون تلك الحدود وهمية، ولكن السكان يعرفونها جيّدا (توما توفيق، 1981، ص100). فهناك حدود معيّنة ظاهرة للعيان، كمسيل الماء أو واد أو نهر، أو شعاب وديان وهكذا (المطري خالد،1999، ص26).

يرتبط التجمع السكاني المميّز للقرية بمرافقه المختلفة، وما يميّز طبيعة عمرانها وبنيتها ووظائفها، باعتبار المسجد الجامع أحد العناصر الفاصلة بين المدينة والقرية؛ غير أنّ هذا العنصر غير كاف لأن يكون مميزا للمدينة عن القرية، بحكم أن كثيرا من القرى قريبة فيما بينها (حسن، محمد ، 2004، ص26). كما هو حال قرى قلعة بني عباس، التي كانت مزودة بمسجد جامع ألا وهو جامع أحمد أمقران، سواء اشتركت القرى القريبة من بعضها في بنائه، أو ما تأسس داخل القرية الواحدة من الجوامع نتيجة النمو الديموغرافي أو الاختلافات العشائرية. كما هو الشأن بالنسبة لجامع أحمد أمقران وجامع بومرزوق بالقلعة أو ما نراه في منطقة زمورة من تتعدد للجوامع كذلك. لكن الشائع والمعروف في قرى منطقة برج بوعريريج احتواؤها على مسجد جامع ومصلى على أكثر تقدير.

المسجد هو أهم المعالم المعمارية المميّزة للقرية في المغرب الإسلامي وخاصة في نهاية العهد الحفصي وبداية العهد العثماني، إضافة إلى وجود مركز تعليم (مدرسة أو زاوية)، وبعض المتاجر، والسور، وكذا المنشآت المائية، بالإضافة إلى السكنات والشوارع وهي بذلك تنقل النموذج الحضري، لكن بصورة جزئية لصعوبة توفرها بالكامل في قرية واحدة.

وتتوزع هذه المرافق والوحدات المعمارية بحسب الطبيعة التضاريسية والجغرافية للأرضية المستقبلة للبناء؛ حيث يتمّ في بعض الأحيان تهيئة الأرضية في المناطق المنحدرة وتهذيبها لبنائها وتتصل سكناتها على شكل أربطة (Maunier (R), 1921,p8).

وعلى هذا الأساس فإن هنالك صنفان من القرى:
- الأولى: أرضيتها تحت سلطة سكانها الذين يديرون شؤونهم بواسطة مجلس القرية المكون من المشايخ، غير خاضعين لسلطة كبار المالكين العقاريين.
- الثانية: تمثل مقرا لعدد كبير من العمال الزراعيين الذين يُفَلِّحون الأرض لفائدة الكبار المالكين العقاريين، من ذلك ما أوردته المصادر التاريخية من امتلاك أحد أعيان القيروان في القرن 2هـ / 8م وهو محمد بن مسروق، لعدد من القرى بناحية القيروان (حسن، محمد ، 2004 ص19)، وهي كذلك ذات طابعين هما: القرى المحصنة طبيعيا ومعماريا مثل قرى قلعة بني عباس ببجاية، وكذا المنعة الطبيعية لقرية إثرونن بضواحي بجاية كذلك (سعد الله أبو القاسم، 1984 ص353)؛ وما نراه أيضا في قرية القليعة والقصور وتيحمامين بنواحي برج بوعريريج و المحصّنة بنائيا. أما غير المحصنة فمنها ما انتشر في ربوع المغرب الإسلامي عبر المراحل التاريخية المتعاقبة. كما أنّ الأرياف المكتنفة للقرى تخضع لمعايير مهمة تبين من خلالها معطيات كثيرة.

- المعايير المميزة للقرية والريف:

_ معيار الفضاء :

نستبين من خلاله الفرق بين مساحة المدينة والقرية من حيث مكون العمران من المنازل ونحوها في الرقعة الجغرافية المشغولة بالقرية (ناجية إبراهيم عبد الله: 1988، ص 190-191).
و تمتاز القرية عن المدينة بِقِلَّة منازلها ومحدودية عمرانها ويمثل الماء والزراعة مقوِّمات الحياة فيها؛ وهي بذلك أيضا نوعان من القرى: نوع صغير، وآخر كبير، ومعيار الفرق بينهما هو القيمة الوظيفية، وعدد السكان الفاصل بينهما.

_ معيار الوظيفة:

يقصد به في هذا المفهوم الخدمات الإدارية، الاجتماعية، الاقتصادية، والعلمية، والدينية في الريف لتلبية حاجات السكان هناك.

_ المعيار الاجتماعي:

هو الوضع الاجتماعي المتصل بطبيعة الملبس والمأكل والمشرب وكذا يتصل ببساطة المعيشة وبساطة البناء، والمتراوح بين البناء بالحجر أو الأكواخ الطينية.

ولا تزال هذه المعايير البسيطة مميّزة لكثير من المناطق في ربوع المشرق والمغرب الإسلاميين.

إنّ المعايير المميّزة للقرى والأرياف كانت مبنية سابقا على مشاهدات البلدانيين والرّحالة للمناطق الرّيفية التي زاروها أو مرّوا بها، حيث تتباين هذه المعايير من عنصر إلى آخر، بحسب ثبات وضعية قرية ما شكلا ومضمونا، أو تغيرها إلى فضاء جغرافي مليء بالعمارة والعمران، ولا تزدهر المدن إلا بازدهار الأرياف فلاحة واقتصادا، ويقال في ذلك أن المدينة لا تُجَّلُ بكثرة مدنها بل بكثرة قراها ومزارعها.

رغم أن الزراعة تعدّ حرفة أساسية لسكان القرى والأرياف إلا أن بعض الناس اشتغلوا في بعض القرى ببعض الحرف الصناعية، وقد وردت إشارات غير قليلة عن صناعات محلية متعددة كانت معروفة بها العديد من القرى في العالم الإسلامي، ومن بينها ما هو في الجزائر، ومثال ذلك منطقة بني عباس وبني ورثيلان (Mahé(A); 2000 , pp26…35.) وكذا بعض الصنائع كالتجارة مثلما هو شأن قرية القليعة وصناعة البناء بالنسبة لمنطقة القصور.

- القرية في منطقة برج بوعريريج:

إنّ مفهوم ثادارث (taddart)، أو إغرم (igrèm)، أو الدشرة تعني محليّا على التوالي القرية المحصّنة أو القصر المحصّن، حيث أنّ القرية تعدّ كخلية النحل (Adam (A) ;1950,p293) في منطقة أو إقليم برج بوعريرج، وهي شأنها شأن التكتّلات القروية الأخرى مثل عشيرة بني ورثيلان، وقرى زمورة القريبتين منها، وتخضعان للطبيعة الجغرافية، ولا تنقسم إلاّ بحسب الوحدة الطبوغرافية، مثل الكتلة المركزية لقرى قبائل جرجرة، البيبان والبابور.

أو يتوزعون بطريقة متقطّعة مثل التجمع المشكل من طرف المقاطعة الكبرى لبني عباس بالريف البجائي (Mahé(A),

(2000,pp25,26)، وهو ما نراه مقاربا إلى حدّ بعيد في إطاره العام بما انتشر بقرى منطقة برج بوعريريج.

إنّ إقليم برج بوعريريج وبحكم تبعيّته الجغرافية لقلعة بني عباس في العهد العثماني وقبل أن تصبح القلعة وقراها تابعة لمقاطعة الحكم الإداري لبرج بوعريريج في العهد الاستعماري الفرنسي وخاصة بعد ثورة 1871م (Feraud (L, ch);, 1872,p185)، فقد كانت قرى برج بوعريريج شأنها شأن قرى قلعة بني عباس كل فرقة فيها متوزعة على الخروبة؛ حيث أن قرى هذه المنطقة من القرى كبيرة الحجم والتي أفادت من الظرفية العامة في نهاية العهد الحفصي وبداية العهد العثماني؛ إذ استقبلت الفارين من حرابة البدو وعدوانية القراصنة.

لقد تجاوز عدد منازل القلعة المائة مسكن في القرن السادس عشر الميلادي، ومن بين أهم العناصر المشتركة التي تولاّها أفراد الجماعة المؤسسة لقلعة بني عباس وعلى رأسهم عبد العزيز العباس، هي بناء قصبة في القلعة، وتحصينها بالأسوار بمعيّة الأسبان (Feraud (L, ch);, 1872,p212)، وقد تشكل جدران المساكن نفسها الجدار الخارجي للسور مثل ما هو الأمر فيها وفي تيحمامين، وزمورة (الصور أرقام:02-21- 336-368-369)؛ وتكون المجموعة من القرى ما يعرف بالعرش، والذي يكون أكبر من القرية وكذلك العشيرة، حيث يكون عدد السكان كبيرا وكذا الفارق من الناحية الجغرافية(Kenzi(A); 1998,p92) . وهو ما تمّ تطبيقه كذلك على القرى التابعة للقلعة من إقليم البرج كزمورة، وبوشيبة، وأولاد سيدي الجودي، والقصور، والرابطة والغدير، وأولاد سيدي إبراهيم، وأولاد سيدي المسعود، وغيرها من القرى التابعة لإقليم القلعة لذلك العهد ومن ثم لبرج بوعريريج.

- التنظيم الاجتماعي والسياسي للقرية في منطقة برج بوعريريج وتقسيماته :

يحكم كل قرية عادات وتقاليد، كما لها كبارها وجماعتها (ثاجماعث)، الذين يلجأ السكان إليهم لحل المسائل التي تعترض

مجرى حياتهم اليومية، حيث يفصلون في جميع الخصومات التي تحدث بين الحين والآخر بين أفراد القرية الواحدة، أو ما بين القرى المجاورة ويساعد هذا المجلس في ذلك بعض عقلاء القرية وكبارها ، وإن استعصت بعض القضايا فالحكم فيها فصلا يعود للعالم الشرعي الفقيه (بوعمامة عبد الكريم، 2006، ص45)، أو الأمير والسلطان كما هو الشأن في قرى برج بوعريريج التابعة سابقا لإقليم قلعة بني عباس، على عهد أمرائها وسلاطينها إلى غاية عهد سي ناصر بني عباس لتصبح بعد ذلك قرى منطقة برج بوعريريج خاضعة لنظام ثاجماعث فيما تعلق بالقضايا العامة ، ويعودون في القضايا الكبرى للعائلة المقرانية بمجانة على عهد الشيخ أبي التقى إلى غاية عهد الباشاغا محمد المقراني (مالتسان هاينريتش،د.ت، ص 156-157).

المراجع

ابن خلدون ، عبد الرحمن. (1984). المقدمة. دار الكتاب اللبناني.

ابن سحنون القيرواني(محمد). (2011). كتاب الأجوبة. . دار ابن حزم.

البكري أبو عبيد الله / الإدريسي الشريف . (1962 / 1970). المسالك والممالك / نزهة المشتاق في اختراق الآفاق. بغداد / إيطاليا:،مكتبة المثنى ، طبع جامعتي نابلي وروما.

التيجاني، عبد الله محمد بن أحمد. (1981). رحلة التيجاني. تونس: الدار العربية للكتاب.

المطري خالد. (1999). جغرافية الاستيطان الرّيفي. الدار السعودية للنشر والتوزيع.

بوعمامة عبد الكريم. (2006). بنو يعلى(لمحات من التراث اليعلاوي). ص 45،الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية.

توما توفيق. (1981). الرّيف أرض ومجتمع. بيروت: الشركة الشرقية للمطبوعات.

عبد الحميد بودرواز
bjaouinaser@yahoo.fr

حجازي, محمد. (1982). جغرافية الأرياف. مصر: دار الفكر العربي.

حسن محمد. (1999). المدينة والبادية بإفريقية في العهد الحفصي (المجلد ج1). مطبعة جامعة تونس الأولى.

حسن محمد . (2004). الجغرافيا التاريخية لإفريقية. بنغازي ليبيا: دار الكتاب الجديد المتحدة.

سعد الله أبو القاسم، (1984). تاريخ الجزائر الثقافي (المجلد ج1). دار الغرب الإسلامي.

عثمان محمد عبد الستار. (1999). المدينة الإسلامية. ،ط1 : دار الآفاق العربية.

عراف شكري. (1996). القرية الفلسطينية.

علي حسن(حسن). (1982). الرّيف- دراسة مجتمعية-. مصر: المكتب الجامعي الحديث.

فؤاد), الزوكة (محمد خميس). حامد(نوال. (1991). في جغرافية الرّيف. الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية.

قماش (فيصل) وآخرون. (2014/2013). الجغرافية الريفية والتخطيط الريفي. دمشق، سوريا: ،،منشورات جامعة دمشق.

قماش (فيصل) وآخرون. (2014/2013). الجغرافية الريفية والتخطيط الريفي. سوريا: منشورات جامعة دمشق.

قماش, فيصل. (2014/2013). الجغرافية الرّيفية والتخطيط الرّيفي. جامعة دمشق.

مالتسان هاينريتش فون. (بلا تاريخ). ثلاث سنوات في شمال غربي إفريقيا. الجزء 2 ، ، ص 156-157. (أبو العيد دودو، المترجمون) ، الجزائر: الشركة الوطنية للنشر و التوزيع،.

ناجية إبراهيم عبد الله. (1988). المعايير المميزة للرّيف والحضر في العصور الإسلامية (المجلد العدد 2). بغداد: المجمع العلمي العراقي.

المراجع باللغة الأجنبية:

Feraud (L, ch"; .(1872) .(Bordj Bou Arreridj ," recueille des notices et memoires de la province de canstantine ، p.185

Adam (A) ; (1950) .(Hespéris, Archives berbères … des hautes études marocaines) 1er et 2eme TR .(,paris, :librairie larose.

Carette (E);. Exploration scientifique de l'Algérie pendant les années (1840, 1841, et 1842) , Etude sur la Kabylie. Paris: imprimerie nationale,.

Kenzi(A) ;. (1998). Tajmaat du Village Elaqelaa de At. Yemmel,thèse de magister. 92. Tizi-Ouzou, université Mouloud Mammeri.

Mahé(A). (2000) ;Histoire de la grande Kabylie 19e-20e siècles. Ed Bouchent.

Maunier (R). (1921). ;La Construction Collective de la Maison en Kabylie. ,Paris: institut D'ethnologie.

للإحالة على هذا المقال:

ـ عبد الحميد بودرواز، سمير العيداني، عبد الكريم عزوق، (2023)، «قراءة للواقع الاجتماعي والعمراني للقرى التقليدية بمنطقة البيبان –دراسة حالة-». **المواقف**، المجلد: 19، العدد: 01، جوان 2023، ص. ص 418- 432.